

سورة الاسراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (100)

شرح الكلمات:

{قُلْ} هَمْ {لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي} مِنْ الرِّزْقِ وَالْمَطَرِ {إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ} لَيَجْلُثُمْ {خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} خوف نفادها بالإنفاق فتقوتوا {وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} بخيلاً

المعنى الإجمالي :

يقول تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قل يا محمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب، وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لو كنتم أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكنكم بخلا بها ولم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، وهو البخل، {وَكَانَ الْإِنْسَانُ} قبل هدايته وإيمانه {قَتُورًا} أي كثير التقير بخلاً وشحاً نفسياً ملازماً له.

أي: لو أن الله تعالى ملك خزائن خيراتهِ ورحمته للناس، فأصبح في أيديهم خزائن لا تنفد، ولا يخشى صاحبها الفقر، لو حدث ذلك لأمسك الإنسان ويحِلْ وَقَتْرَ خوف الفقر؛ لأنه جُلَّ على الإمساك والتقير حتى على نفسه، وخوف الإنسان من الفقر ولو أنه يملك خزائن رحمة الله التي لا نفاد لها ناتج عن عدم مقدرة على تعويض ما أنفق؛ ولأنه لا يستطيع أن يُحدث شيئاً.

والبخل يكون على الغير، فإن كان على النفس فهو التقير، وهو سبب واضحة ومُخْزِية، فقد يقبل أن يُضَيِّقَ الإنسان على الغير، أما أن يُضَيِّقَ على نفسه فهذا منتهى ما يمكن تصوّره. ومعنى {خَزَائِنَ} هي ما يُحْفَظُ بها الشيء النفيس لوقته، فالخزائن مثلاً لا نضع بها التراب، بل الأشياء الثمينة ذات القيمة. إن هذا النص الكريم يدل على أمور ثلاثة: الأمر الأول: أن خزائن رحمة الله تعالى لا تنفذ تشمل البر والفاجر، وتعم الغني والفقير، والقادر والعاجز.

الأمر الثاني: أن العبد هو الذي يقتر، ويحس بالفقر دائماً إلا أن يكون مؤمناً يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.

الأمر الثالث: أنه على الإنسان أن يهذب غرائزه، فإذا كان قَتُورًا يجب أن يُعَوِّدَ السخاء والإيثار. والإقتر -أعاذنا الله منه- درجة شنيعة من درجات البخل، إذ يتناسى المقتِر ما يجب عليه من الرحمة التي رحمها الله بها فيرحم بها غيره، حتى يطمئن إلى دوام تمتعه برحمة الله له.

البخل وآثاره: والبخل داء فتاك كم فرق بين أحباب، وأغلق بيوتاً، وهدم أسراً، ودمر مجتمعات، وزرع الحقد والغل في الصدور، فتقطعت الأواصر، وانصرمت الوشائج، وقام على أساسه سوق الحسد والبغض، وهو من أدواء الأدواء وأخبثها، يشعر بأن صاحبه لا يثق في الله تعالى، فهو دائماً يسيء الظن بخالقه، ويحسب أنه لن يرزقه، ولن يكرمه، وأن هذا الذي بين يديه من الخير والمال والنعمة لو انقضى فلن يأتي بعده خيرٌ، ولن يخلف الله عليه بسواه، وأن أمواله لو تصدق منها صار فقيراً معوزاً كالمصدق عليهم، وما أيقن هؤلاء الظانين بالله ظن السوء أن المال لا تنقصه الصدقة بل تنميه وتبارك فيه.

أسباب الشح والبخل:

1- حب الدنيا مع توهم الفقر.

2- إهمال النفس من المجاهدة.

3- الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق.

4- عدم اليقين بما عند الله -تعالى-.

5- الغفلة عن العواقب المترتبة على الشح والبخل.

6- الوسط الذي يعيش فيه المسلم:

للشح والبخل آثار ضارة وعواقب مهلكة منها:

1- حمل النفس على الوقوع في الإثم والرذيلة.

2- القلق والاضطراب النفسي، ومنه الفرقة والتمزق.

3- تمكن العدو الإنسي والحي من صاحب الشح والبخل.

4- العذاب الشديد في الآخرة -نسأل الله العافية-.

علاج الشح والبخل:

1- النظر في العواقب والآثار المترتبة على الشح والبخل في الدنيا والدين والآخرة.

2- اليقين التام بما عند الله من الأجر والثوبة والنعيم المقيم.

3- العيش الطويل مع كتاب الله -عز وجل- للوقوف على خبر وعاقبة أهل الشح والبخل، وكذلك خبر وثواب أهل العطاء والجود.

4- دوام النظر في سنة وسيرة وهدى نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- مع النعمة التي أنعم الله بها عليه من مال أو غيره

ولقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في كتابه: (مدارج السالكين) مراتب عشرة للجود: مثل الجود بالنفس، والجود بالرياسة، والجود بالجاه، والجود بالراحة والرفاهية، والجود بالعلم، والجود بالبدن، والجود باليسير ووسط الوجه، والجود بالصبر، والجود بالعفو والصفتح، والجود بكف الأذى، والجود بالمال، والتعفف عما في أيدي الناس).

5- البعد والانسلاخ من الوسط المعروف بالشح والبخل، والارتقاء في الأوساط المعروفة بالجود والسخاء.

6- كثرة الدعاء والضراعة إلى الله -عز وجل-.

7- المحاسبة والمجاهدة للنفس.

8- الأخذ بأيدي من ابتلي بالشح والبخل إلى الخير، وشغلهم بالأعمال الصالحات، ومنها الصدقة والجود والكرم.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (500)



100 قَوْلًا مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْفَاقِ

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

8- إن البخل دليل على قلة العقل وسوء التدبير، وهو أصل لقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة، ولا يجتمع مع الإيمان، بل من شأنه أن يهلك الإنسان ويدمر الأخلاق كما أنه دليل على سوء الظن بالله عز وجل، يؤخر صاحبه، ويبعده عن صفات الأنبياء والصالحين.

9- البخل محروم في الدنيا مؤاخذ في الآخرة، وهو مكروه من الله عز وجل مبغوض من الناس، ومن هنا قال القائل: جود الرجل يحبه إلى أصداده، وبخله يبغضه إلى أولاده.

10- وقد تتسع دائرة البخل حتى تشمل امتناع المرء عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه فترى البعض يبخل بنفسه وماله ووقته، وقد يمتنع عن تأدية حقوق الله أو النفس أو الخلق.

11- على المسلم أن يشغل نفسه ولسانه وجوارحه ووقته بالأخلاق الفاضلة علماً ومعرفة وتخلقاً، ومدار ذلك على الإيمان الصادق الصحيح، وأن يتعد عن الأخلاق الذميمة، ومنها آفة الشح والبخل.

12- البخل صفة غير لائقة بأهل الإسلام بل هي سجية عرف بها اليهود قديماً وحديثاً، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (البخل قد لزم اليهود لزوم الظل للشمس، فلا ترى يهودياً، وإن كان ماله في غاية الكثرة، إلا وهو من أبخل خلق الله).

13- البخل من صفات المنافقين:

قال تعالى - في وصف المنافقين - : **أَشْخَعَتْ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَقُّوْ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**.

14- البخل في الدنيا فإنه لا بد لجامع المال من آفات تخرجه على رغم أنفه فالسقاء خير كله ما لم يخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه.

15- أدب الله عباده أحسن الآداب فقال (**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**) (فخيار الأمور أوسطها.

والله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- الشح من طبع الإنسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه

2- **أَنَّ بَنِي آدَمَ لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ - أَيِ خَزَائِنِ الْأَرْزَاقِ وَالنَّعَمِ - لَبَخَلُوا بِالرِّزْقِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَلَأَمْسَكُوا عَنِ الْإِعْطَاءِ، خَوْفًا مِنَ الْإِنْفَاقِ لَشِدَّةِ بَخْلِهِمْ.**

3- خزائن رحمة الله هي الرزق والصحة، والقوة، وكل ما ينعم الله به تعالى على عباده.

4- الإنفاق هنا معناه الافتقار بمعنى الإملاق، كقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ...)، أي إنكم تبخلون حتى في مال غيركم، وتمنعون أصحاب الحقوق من حقوقهم.

5- (**وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا**)، أي بخيلاً، لأنه يطلب دائماً المعاوضة، وهو بالخير ضنين، وإنه يشعر بالاحتياج دائماً؛ لأنه بالنسبة للدنيا يخشى النفاد، ويحرص على أن يبقى لنفسه في كل الأزمان، وهو لا يحض على طعام المسكين خشية الفقر، وهذا في طبع الإنسان، ولكنه لا يمنع أن المؤمنين منهم الجواد السخي الذي يعطي المال على حبه مسكيناً ويتهما وأسيراً.

6- أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمته - أي خزائن الأرزاق والنعم - لبخلوا بالرزق على غيرهم ، ولأمسكوا عن الإعطاء . خوفاً من الإنفاق لشدة بخلهم . وبين أن الإنسان قتور : أي بخيل .

7- بين الحق جل وعلا أن البخل لا يعود ضرره إلا على أهله فقال عز من قائل: (هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) [محمد: 38].